حواء عليها السلام

قصص النساء في القرآن

[1] حواء عليها السلام

وقد ورد ذكرها في قول الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١} [النساء: ١].

***

موجز القصة:

سكنت حواء مع زوجها آدم عليه السلام أبو البشر ـ الجنة، وأنذرهما الله تبارك وتعالى أن لا يقربا شجرة معينة، ولكن الشيطان وسوس لهما فأكلا منها فأنزلهما الله إلى الأرض ومكن لهما سبل العيش بها وطالبهما بعبادة الله وحده وحض الناس على ذلك.

عندما نقرأ القرآن لا نجد ذكراً لحواء أبداً {ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} [النساء: ١]، لم يستعرض خلق حواء كما أفرد لخلق آدم في سبع سور وكل سورة فيها اختلاف.

ليس في القرآن شيء عن حواء، وإنما ورد في السنة المطهرة؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة ☺، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لولا بنو إسرائيل لم يَخنزِ اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها -** [1].

قال الحافظ ابن حجر: قوله صلى الله عليه وسلم **:"لولا بنو إسرائيل لم يَخنزِ اللحم -**؛ يخنز؛ أي: ينتن؛ والخنز التغير والنتن، قيل أصله أن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى، وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا

(1) صحيح: أخرجه البخاري كتاب الأنبياء (3330).

بذلك. حكاه القرطبي، وذكر غيره عن قتادة. وقال بعضهم: معناه لولا أن بني إسرائيل سنوا إدخار اللحم حتى أنتن لما ادخر فلم ينتن.

قوله صلى الله عليه وسلم :"**ولولا حواء** -؛ أي: امرأة آدم.

قوله صلى الله عليه وسلم :"**لم تخن أنثى زوجها** -؛ أي: فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك؛ فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا لله.

ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عُد ذلك خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها، وقريب من هذا حديث:"**جحد آدم فجحدت ذريته** -، وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وان ذلك من طبعهن فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل النذور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدون هواهن.

المهم أنا كمسلم المفروض أن أسلّم بكتاب الله تعالى؛ ويجب على كل مسلم أن يقول في نفسه على الله الأمر وعلى الرسول البلاغ وعلينا الرضا والتسليم؛ المسلم الحق يأخذ القرآن نبراساً، ويأخذه مثالاً والقرآن هو الذي يبقى وليس لأي أحد يحدد ماذا يقول؛ لأن هذا على الله تعالى.

ماذا فعلت الإسرائيليات؟ إذا وجدوا أنك تشتكي من شيء معين فهم يأخذوك ويصطادوك ويتلقفون من يريد سماع قصة،،وينسجون حكاية حولها والظروف خدمتهم في أن هنالك حديث للرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه:**"استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا -.**

لو كنت محققاً أو متدبراً أو واعياً يجب أن أعرف لماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحديث، وما هو سببه، وما هي مناسبته؟

هل كان يتكلم عن خلق آدم وحواء؟ أو كان يستعرض خلق آدم وحواء؟ يجب أن نعرف مناسبة الحديث وسببه ولماذا قاله صلى الله عليه وسلم ؟

مناسبة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع الرجال على حُسن معاملة النساء ويضرب لهم مثلاً بطبيعة المرأة لا بخلقها فيقول صلى الله عليه وسلم : **"استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا -.**

أول الحديث يقول استوصوا بالنساء خيراً، إذن الرسول - صلى الله عليه وسلم يعلم أن طبيعة المرأة تجعل الرجل قد يسيء معاملتها؛ لأنه لا يفهم حقيقة الأمر، فإن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل مع أنهما من جنس واحد، وهذه الطبيعة التي قد لا تعجب الرجل في

المرأة هي الميزة وهي قمة الاستقامة.

الحديث ليس له علاقة بالخِلقة إنما النقطة التي تكلم فيها الحديث هي التي تكلمت فيها آيات سورة النساء، المضمون العام{فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا} [النساء: ١٩]، أنت كرهته لأسباب وليس فجأة لكن هذه الأسباب شاء الله تعالى لو أنت صبرت سيجعل الله تعالى فيه خيراً كثيرا.

آيات الطلاق فيها توصيفات بديعة وفيها مضامين ليس لها علاقة بالطلاق ولكنها تبشر الصابر{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣]، ما علاقة هذه الآية بالطلاق؟ لكن إذا تدبرتها تجد أن الرجل المستعجل بالطلاق لو صبر يجعل الله تعالى له مخرجاً.

إذن مضمون سورة الطلاق هو مضمون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ذهب رجل ليطلق امرأته يقول له الحديث انتبه أنت لم تفهم، استوصي بالنساء خيراً المرأة خلِقت من ضلع أعوج.

الإسرائيليات دخلت هنا وأخذت هذه الجملة فقط، وقالت: أن آدم كان نائماً ثم أُخِذ منه ضلع خلقت منه حواء، من أين جاءوا بهذا الكلام؟ كلمة ضلع أصلها بعيد عن ضلع العظم الذي في جنب الإنسان. العرب قبل القرآن كانوا يسمون المنحني من الأرض ضلعاً هذا قبل القرآن وقبل محمد صلى الله عليه وسلم وقبل الحديث.

ولما نفهم نحن هذا الأمر ما سُمّيَ هذا الجزء من الجسد ضلعاً إلا لأنه أعوج، كلمة ضلع هي الميزة التي في العظم وغاية استقامة الأعوج أنه أعوج حتى يقوم بمهمته ولولا اعوجاجه لسقط القلب في

الحشى وهذا تدبير إلهي. لذا قال تعالى:{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾} [الحجر: ٢٩]؛ نفخ الروح هو آخر مرحلة في الخلق بعد تمام التسوية؛ سوّى واستوى لا تطلق إلا على الشيء المنضبط الناضج المكتمل في مهامه.

الرسول صلى الله عليه وسلم تدرّب على وحي السماء وتعلّم على وحي السماء فأصبحت مفردات كلماته عالية لغوية بليغة فقال: فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. هذه تذكرنا بواقعة عيسى وآدم عليهما السلام:{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ} [آل عمران: ٥٩]، ثم تكلم عن آدم خلقه من تراب؛ لغة الرسول صلى الله عليه وسلم مستقاة من الوحي وتأثير الوحي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يتكلم بلغة القرآن.

القرآن كلام الله تعالى؛ وقال سبحانه:{ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء: ٣٧]، فهل هناك مادة اسمها عجل خلق منها الإنسان؟ حتى لو لم أعرف المجاز والكناية والاستعارة، وفي آية أخرى:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ} [الروم: ٥٤]. نحن لما سمعنا أنا خلقنا من تراب ذهب ذهننا إلى التراب الذي نعرفه لكن لما نسمع من ضعف فهل هناك مادة اسمها ضعف؟ أو عجل؟ هذه الكلمات كناية أو مجاز أو غيرها. لكن نفهم من{ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء: ٣٧]، أنها كناية عن أن الإنسان بطبيعته يحب العجلة؛ فكأنه مخلوق من مادة يوصَف بها، وكذلك كلمة من ضعف وكذلك كلمة من ضلع، من ضعف تساوي في الأداء من عجل تساوي عند الرسول صلى الله عليه وسلم من ضلع.

أما بخصوص الآية في مطلع سورة النساء، الله تعالى خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها؛ قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾} [النساء: ١].

من نفس واحدة (آدم) النفس الواحدة خلق منها آدم باتفاق العلماء، وخُلِق منها حواء فهي لم تخلق من آدم، وإنما من النفس. للأسف لا أحد ينتبه للتعبير الأدائي فنحن تصورنا أن الله تعالى خلق آدم من نفس ثم خلق حواء من آدم وهذا خطأ. في سورة الأعراف قال تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾} [الأعراف: ١١]، خلقكم أنتم وساعة ما صوّر آدم كأنه صوّركم أنتم لأنكم أنتم قد تحتاجون لأدوات إذا أردتم أن تفعلوا شيئاً وتحتاجون لزمن لهذا الفعل أما الله تعالى بنصّ القرآن الكريم:{إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾} [يس: ٨٢]، فساعة ما يقول أنا سأخلق آدم ليعمل ذرية تكون الذرية قد عملت وانتهى الأمر. الآية صحيحة إلى يوم القيامة (خلقناكم - من عهد آدم - وخلق منها - أي من نفس النفس التي خلق منها آدم - خلق زوجها. آدم ليس هو النفس، وإنما هو جاء منها، وكما خُلِق آدم خُلِقت حواء، لأن الله تبارك وتعالى يقول توقيعاً لهذه النقطة{وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾} [الذاريات: ٤٩]؛ يعني كلمة شيء إذا كانت موجودة في أي وقت أو زمان أو أي شيء يجب أن يكون فيه زوجان ذكر وأنثى لأن الخلق مثنى. حواء خلقت فوراً مع خلق آدم بدليل{وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} [الذاريات: ٤٩]. إذن حواء خلقت إما مع آدم جنباً إلى جنب أو بعد إتمام خلق آدم وعلى أي حال فهي خلقت بنفس الكيفية ولا داعي لتكرار طريقة خلقها في القرآن.

ولتوضيح معنى (مِنْ نَفْسٍ) سنضرب هذا المثال؛ قال تبارك

وتعالى:{هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ} [الجمعة: ٢]، فهل تعني أنه أخذ قطعة منهم خلق منها محمداً صلى الله عليه وسلم ؟ كلا وإنما هو توقيع مجازي يدل على أنه من طبيعتهم، من جنسهم، من أنفسهم، من نفس الخلقة، بشر مثلكم لأنكم لستم ملائكة ولو كنتم ملائكة لأنزل عليكم ملكاً رسولاً. كلمة رسالة تعني مرسِل وهو الله تبارك وتعالى، ومرسَل وهو محمد صلى الله عليه وسلم، ومرسَل إليه وهم البشر.

لذلك، حتى لا يحصل لبس عند محاولة فهم الآيات والأحاديث، يجب على الشخص فهم أساليب العربية لذا قال تعالى:{إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾} [يوسف: ٢]؛ اللغة العربية شأنها كبير جداً ولغة القرآن الكريم أكبر؛ اللغة العربية تختلف عن باقي اللغات فالقواعد في اللغات الأخرى يمكن أن يدرسها الإنسان في شهر أو سنة أو أكثر لكن اللغة العربية فليس لدراستها مدة محددة فقد نموت ولا ننتهي من دراسة اللغة العربية وقواعدها كلها. واللغة العربية مسألة ولغة القرآن مسألة أخرى.

تمت القصة بعون الله تعالى

* * *